Mağallaẗ Al-Itiḥād Al-ʿām Lil Aṯārīyin Al-ʿarab (JGUAA) 26, №.2, 2025 (132-157)

DOI: 10.21608/jguaa.2025.350600.1370

Received: 2025-01-05 Accepted: 2025-03-06 Available online: 2025-04-17

The Arabic Text in the 'Ayn 'Avdat Inscription: From the Question of Type to the Question of Competence

By

Muntasir Fayez Al-Hamad

Associate Professor, ANNS, College of Arts and Sciences, Qatar University

m.hamad@qu.edu.qa

Alaa Ibrahim Amer

Associate Professor, ANNS, College of Arts and Sciences, Qatar University

alaa.ibrahim@qu.edu.qa

Abstract:

This study examines the 'Ayn 'Avdat inscription as one of the significant Nabataean inscriptions that reflect the dynamic linguistic interaction between Nabataean and Arabic. The research focused on the Arabic phrase embedded within the inscription and its alignment with the characteristics of traditional Arabic poetry. The study highlighted the debate surrounding the classification of the text as either poetic or prose, using prosodic analysis to emphasize its weak consistency with conventional poetic meters, while suggesting its potential as a prototype of early Arabic poetry.

The research explored the semantic functions of the text, emphasizing the role of the self, "Jurm Allah," in reinforcing the ideological context of the inscription through textual paradoxes that challenge traditional frameworks. Additionally, it examined linguistic intertextuality between Nabataean and Arabic texts, showcasing how it was employed to enrich meaning and enhance the functional value of the inscription.

The study concludes by stressing the importance of re-evaluating historical texts with methodological flexibility that transcends traditional frameworks. It calls for employing multiple analytical tools to study the interaction between texts written in different languages within diverse temporal and cultural contexts. The study recommends further comparative analysis of similar inscriptions and expanding research to explore new dimensions of intertextuality and textual systems.

Keywords: Nabataean, Arabic, poetry, prosody, competence

النّص العربيِّ في نقش عَيْن عبادة مِنْ سُؤال النَّوع إلى سُؤال الكَّفاءة

منتصر فايز الحمد
أستاذ مشارك، كلية الآداب والعلوم، جامعة قطر
m.hamad@qu.edu.qa

علاء إبراهيم عامر
أستاذ مشارك، كلية الآداب والعلوم، جامعة قطر
alaa.ibrahim@qu.edu.qa

الملخص:

يتناول البحثُ نقشَ عين عبادة، بوصفه أحد النقوش النبطية المُهمة، التي تعكس ديناميكية التفاعل اللغوي بين النبطية والعربية، مُنشغلاً بشكل رئيس بالعبارة العربية المُدْمَجة في النقش، وبحدود علاقاتها التوافقية والتخالفية مع خصائص الشعر العربي في هيكلته التقليدية، وبالمعاني القلقة التي تُستلَّ منها، نتيجة تأرجُحها بين مستويات دلالية مُنضّدة على نحو لا يحجب أحدُها الآخر.

قاربت الدراسةُ الطبيعة الجدلية المُرافِقة لمحاولة تصنيف النصّ بين كونه نصًّا شعريًّا أو نثريًّا، فتعرضت بتعمق للجانب العروضيّ مُستبينةً ضعف اتساقه مع الأوزان الشعرية المألوفة، دون إغفال الإشارة إلى احتمالية تمثيله لنموذج أوّلي للشعر العربي بمراعاة طبيعة النص الإبداعي وتبطُّنه لحساسيات نافذة ومُنعطفات حادة تأبى التنميط.

كما انشغل البحث بسؤال الشعرية عبر اعتماد مفهوم التناص أداة إجرائية لقراءة عملية التفاعل النصي بين النصين العربي والنبطي، ودورها في تأسيس النص لجمالياته الخاصة بهدف النفاذ إلى الشروط العميقة للتأثير في المتلقي. وعمل البحث كذلك على تحديد كفاءة الممارسة التَّناصّية وقدرتها على تفعيل القيم الكلية للنص.

خلُص البحث إلى أهمية إعادة تقييم النصوص التاريخية بمرونة منهجية، تتجنب إسقاط معطيات النظريات التقليدية على المتون، دون مراعاة سياقاتها التاريخية ومحمولاتها الثقافية، مع الدعوة إلى استخدام أدوات تحليلية متعددة لدراسة التفاعل بين النصوص المكتوبة بلغات مختلفة في سياقات زمانية وثقافية متنوعة.

أوصت الدراسة بإجراء المزيد من الدراسات المُقَارنة التي تشمل نقوشًا أخرى، بهدف استكشاف التفاعل النصي بين اللغات القديمة ودوره في تطور الهوية الثقافية واللغوية، حيث تسهم هذه النتائج في تعزيز فهم النقوش النبطية ودورها كمصدر أساس لدراسة التاريخ الثقافي واللغوي للعرب.

الكلمات الدالّة:

نقش عبادة، النقوش النبطية، الكتابة الثنائية، التحليل العروضي، الديناميكيات الثقافية، التفاعل النصيّ.

DOI: 10.21608/jguaa.2025.350600.1370

المقدمة:

في عام ١٩٧٩م عثر روني (Roones) على نقش اشتهر بين الباحثين باسم "نقش عين عبادة" على سطح صخري بالقرب من "عين عبادة" على بُعد نحو ٤,٥ كيلومتر جنوب معبد عبادة في صحراء النقب، ويُؤرخ عادة إلى الفترة ما بين عامي ٨٩/٨٨ و١٢٦/١٢٥ ميلادية، في حين يُرجّح بعض الباحثين أنه يعود إلى ما قبل سنة ١٥٠ ميلادية[١]. ويعدّ نقش "عين عبادة" من النقوش النبطية المُهمة والمثيرة للجدل بين علماء النقوش واللغة على حدٍّ سواء، وجرى استعراض الآراء فيه من قبل عدد كبير من الباحثين[٢]، انتظر النقش سنوات حتى نشره نيجيف (Negev) في مقاله الشهير عام ١٩٨٦م، الذي أوكل فيه لكلٍّ من نافي وشاكيد (Naveh and Shaked) تقديم القراءة الأولى لهذا النقش[٣].

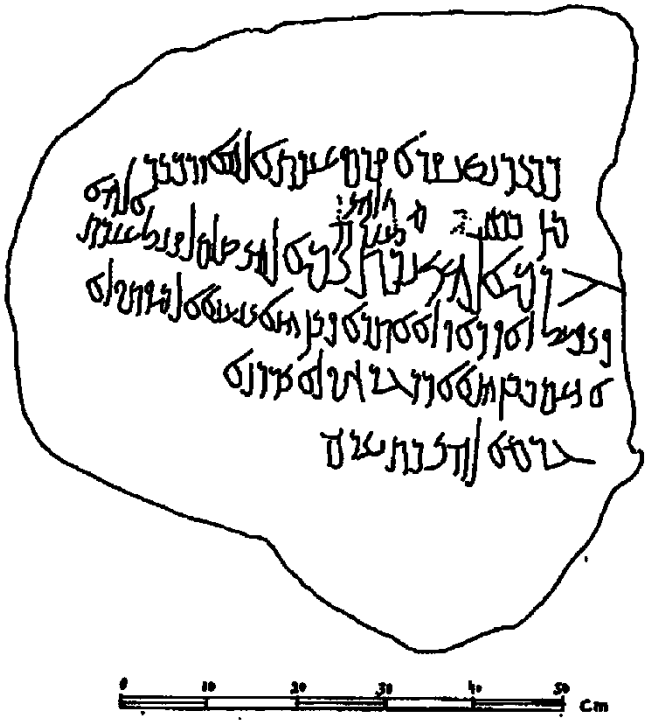

(شكل ١) نقش "عين عبادة" من رسم ياردیني (Ada Yardeni) الذي نشره نيجيف ١٩٨٦*

* NEGEV, A., «Obodas the God», *Israel Exploration Journal* 36, 1986, 56.

[1] NEGEV, «Obodas the God», 56; AMBROS, A.,«Zur Inschrift von 'En 'Avdat — eine Mahnung zur Vorsicht», *Zeitschrift für Arabische Linguistik* 2, 1994, 90 and LACERENZA, G., «Appunti sull'iscrizione nabateo-araba di ʻAyn ʻAvdat», *Studi Epigrafici e Linguistici* 17, 2000, 105 and 1994.

[٢] رصد مانفريد كروب ٢٤ بحثًا تناولت هذا النقش منها ١١ قراءة على اختلاف قيمتها وأهمّيتها، ولم يذكر بعض الأبحاث التي نشرت قبل صدور دراسته في ٢٠١٧م سواء باللغة الإنجليزية أو باللغة العربية، كما نشرت بعض الأبحاث بعد ذلك التاريخ تضمنت بعضها قراءات جديدة وتوزين عروضي جديد أيضا KROPP, M., "The ʿAyn ʿAbada Inscription Thirty Years Later: A Reassessment", In *Arabic in Context. Celebrating 400 Years of Arabic at Leiden University*, edited by A. Al-Jallad, 53-74, Leiden: Brill, 2017). أضف إلى عدد من الأبحاث التي تناولت ظواهر خاصة كما يتضّح في الإحالات والنقاش وقائمة المصادر. وقد حاول الباحثون في كثيرٍ منها تقديم قراءات لغوية أو عروضية مختلفة، ممّا استعرض الجانب الأهم منه هذا البحث وتفنيد أو توضيح مواضع الاتفاق أو الخلاف مع القراءات الموجودة.

[3] NEGEV, «Obodas the God», 56-60; AMBROS, «Zur Inschrift von 'En 'Avdat», 90 and AL-HAMAD, M., "Revisiting the Arabic Verses of the 'Ain 'Avdat Inscription", In *Near Eastern and Arabian Essays: Studies in Honour of John F. Healey*, edited by George Brooke, Adrian Curtis, Muntasir Al-Hamad, and Rex Smith, 159–168, Oxford: Oxford University Press, 2018.

أما النقش فهو تكريسي من ستة أسطر مكتوبة بالحرف النبطي، يبدأ بالديباجة المعهودة في هذه النصوص، قبل أن ينتقل إلى السطرين الرابع والخامس، حيث ينتقل النص إلى لغة عربية مكتوبة بالخط النبطي، ثم يعود في السطر السادس ليختم النص بالنبطية التكريسيّ، أو الاستمرار بالعربية كما يرى هامين–أنتيلا (Hämeen-Anttila) في نقاشه حول السطر الأخير من النقش[٤]، ويَشيع الاعتقادُ بأن النصّ العربي كُتب في فترة لاحقة، ولم يُكتب من قِبل الناقِش نفسه[٥].

وقراءة النص حسب ما نشره نيجيف هي التالية[٦]:

١. د ك ي ر/ ب ط ب/ ق ر ا/ ع ب د ت/ ا ل ه ا/ و د ك ي ر

٢. م ن/ (د) [... ه ق ي م]

٣. ج ر م ا ل ه ي/ ب ر/ ت ي م ا ل ه ي/ ص ل م/ ل ق ب ل/ ع ب د ت/ ا ل ه ا

٤. ف ي ف ع ل/ ل ا/ ف د ا/ و ل ا/ ا ث ر ا/ ف ك ن/ ه ن ا/ ي ب ع ن ا/ ا ل م و ت و/ ل ا

٥. ا ب ع ه/ ف ك ن/ ه ن ا/ ا ر د/ ج رح و/ ل ا/ ي ر د ن ا

٦. ج ر م ا ل ه ي/ ك ت <ب>/ ب ي د ه

وهو ما يُمكِن أن يُترجَم، حسب نيجيف[٧]:

١. ليُذكَر بخير كلُّ مَنْ قرأ قبالة عُبادة الإله، وليُذكَر

٢. من...

٣. جرم الله بن تيم الله [أقام] نصبًا قدّام عُبادة الإله

٤. فيفعل لا فِدىً ولا أثرًا، فكان إن يَبْغِنا الموتُ لا

٥. أَبْغِه، فَكان إن أرادَ جَرْحو لا يُردنا

٦. جرم الله كتب هذا بيده

---

[4] HÄMEEN-ANTTILA, J., «A Note on the ʻĒn Avdat Inscription», *Studia Orientalia* 67, 1991, 35-٣6; MACDONALD, M., "The Emergence of Arabic as a Written Language", In *Arabs and Empires before Islam*, edited by G. Fisher, 395–417, Oxford: OUP, 2015, 421.

[5] NOJA, S. "A Further Discussion of the Arabic Sentence of the lst Century A.D. and Its Poetical Form", In *Semitica. Serta philologica Constantino Tsereteli dicata*, edited by R. Contini *et al*, Torino, 1993, 187

[6] NEGEV, «Obodas the God», 56

[7] NEGEV, «Obodas the God», 57

DOI: 10.21608/jguaa.2025.350600.1370

١ مقاربات في تقويم العبارة العربية:

انشغلت العديد من المُواضَعات النقدية التي قاربت العبارة العربية المُضمَّنة في النقش النبطي المعروف بعين عبادة بالبحث في حدود شعرية هذه العبارة، بالمعنى المباشر للشعر العربي بوصفه جنسًا أدبيًّا يحمل قيمًا جمالية قارّة، ومقتضيات شكلية مُتوَارَثة، ينبغي تمثُّلها عند إنتاج نصّ ينتمي إليه، أو بصيغة أخرى ركَّزت هذه المُقاربات جهدها في محاولة ضبط العلاقة بين النص العربي المُتضمَّن و المعايير التقليدية للشعر العربي وفق منظورين حادين يستمدان فاعليتهما من مفهومي "التماثُل" و"التعارض"، وقد أنتجت هذه المقاربات جملة من الرؤى –أسهمتْ في ازدياد حدّة الجدل– التي يمكن تأطيرها في وجهتين:

فالوجهة الأولى ترفض الاعتراف بانتماء النص المذكور إلى جنس الشعر العربي التقليدي، وترى فيه نصًّا عربيًّا كُتب بحروف نبطية، وترى أن الإقرار بشعرية هذا النص يحمل قدرًا كبيرًا من المُجازفة، التي لا تملك مبرراتها العلمية، وتستند هذه الوجهة إلى مُخالفة هذا النص إلى أحد أهم معايير الشعرية العربية التقليدية، وهو عنصر الوزن الذي يشكِّل مع القافية عنصري الموسيقى الداخلية والخارجية للنصوص الشعرية العربية في حضورها التراثي.

أما الوجهة الثانية فترى أن حديثًا عن شعرية هذا النص يبدو مُبرَّرًا من نواحٍ عدة، أبرزها تشابه النص من الناحية العروضية مع مُقتضيات علم العروض العربي، بالنظر للوحدات الموسيقية (التفعيلات) لبحر المتقارب[٨].

إن المقاربة التأملية للوجهتين الآنفتين يضعنا بإزاء حقيقتين ماثلتين: أولاهما، الإقرار بعربية النص المُتضمَّن، وإن رُسِم برموز كتابية نبطية. أما الثانية، فتجد المُقارنة بين وزن النص المتضمن والأوزان المعروفة للشعر العربي تشكل المعيار الرئيس للحكم بشعرية النص أو بتجرده من الانتماء للجنس الشعري.

ويبدو لنا أن الفريقين بتركيزهما على عنصر الوزن –على أهميته– قد وقعا في لَبس منهجي، ناتج عن اعتماد عنصر معيار الوزن محكًّا مرجعيًّا، تُقاس في ضوء هياكله المصنوعة شعرية النص، مختزلين بذلك مفهوم الشعر العربي في أحد مرتكزاته دون الالتفات للمرتكزات الأخرى في إطار علاقة التوازن الضرورية بين هذه المرتكزات، وكأن مناط الشعرية هو التزام الشاعر بهذه الأوزان –التي تم تنظيرها (دون إنتاجها) على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت. ١٧٥هـ) في القرن الثاني الهجري– وهو ما يتنافى مع الرؤية النقدية العربية القديمة التي امتازت بانفتاح الرؤية ورحابتها، فعدّدت معايير الشعرية العربية، ووضعتها تحت مصطلحٍ غدا مشهورًا وهو "عمود الشعر" الذي يحدده أبو علي المرزوقي (ت. ٤٢١هـ) في مقدمته –التي استهل بها شرحه لحماسة أبي تمام– بقوله: "فالواجب أن يُتَبيّن ما هو عمود الشعر المعروف عند العرب، ليتميز تليد الصنعة من الطريف،

[٨] وهي القراءة التي انتهى إليها منتصر الحمد في بحثه المنشور ٢٠١٨، تحت عنوان: "Revisiting the Arabic Verses of AL-HAMAD, the ʻAin ʻAvdat Inscription".

وقديمُ نظام القريض من الحديث"[٩]. ثم عدَّد المرزوقي عناصر عمود الشعر: "كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته، والإصابة في الوصف، ومن اجتماع هذه الأسباب الثلاثة كَثُرَت سوائرُ الأمثال، وشواردُ الأبيات، والمقاربةُ في التشبيه، والتحامُ أجزاء النظم والتئامُها على تَخَيُّرٍ من لذيذ الوزن، ومناسبة المستعار منه والمستعار له، ومشاكلة اللفظ للمعنى، وشده اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما، فهذه سبعة أبواب هي عمود الشعر، ولكلّ باب منها معيار"[١٠].

إذن نستنتج من هذا أن الوزن يشكل معيارًا بالغ الأهمية يوجّه للحكم بشعرية النص تبعًا لوجهة النظر النقدية التقليدية، لكن هذا العنصر لا يمكن اعتماده بوصفه المعيار الوحيد الذي يُستنَد إليه لإثبات شعرية المتن المعروض أو نفيها، أو بصيغة أخرى إذا كان غياب الوزن في صورته المُتوارَثة يجرِّد النص من عنصر الشعرية التقليدية، فإن حضوره كذلك لا يثبت هذه الشعرية، وهو ما يشوِّش على التعاطي مع هذا المعيار بوصفه حجر الزاوية في ضمان الكفاءة الشعرية للنص.

يبدو كذلك أن الفريقين قد تجاوزا الواقع التاريخي – والفهم السياقي لعمليات التنظير المنهجي التي تمرّ بها العلوم في أثناء محاولتها الإحكام القواعدي للممارسات الإبداعية المتدفقة– وذلك عندما انشغلا بمبادئ النظامية المَسْكونة بهاجس الوحدة والثبات والمُطابقة، متخذين من أوزان البحور الخليلية معيارًا جامدًا تمّ إخضاع النص المذكور له، وبهذا يكونا قد تغافلا عن حقيقة اتسام هذه البحور الخليلية بطابعها اللاحق للفعل الإنتاجي، أي أن إقرار هذه البحور هو عمل تنظيري محض، حاول المُنظِّر من خلاله ضبط الواقع وتقنينه، وليس إنتاج هذا الواقع، فالبحور الشعرية قد تم التنظير لها في القرن السابع الميلادي، وهو ما قد يعني افتراضيًّا أنه في إطار حركة الإبداع المتجددة قد تكون ثمة نصوص شعرية قد تلفّحت بموسيقى تخالف موسيقى البحور التقليدية، ولكن مع مرور الوقت واختبار كفاءة المستوى الموسيقي لهذه النصوص تم تراجع هذه البحور لصالح بحور أخرى ظلت حاضرة إلى عهد قريب من عهد الخليل مما مكنه من رصدها، هذا الرصد الذي تعدَّلت وظيفته في شكل لاحق من كونه أداة لقراءة واقع إلى أداة إرشادية، ثم أداة توجيهية معيارية اتسمت بمرونة أتاحت الفرصة لمُنظِّر آخر هو الأخفش الأوسط (أبو الحسن سعيد بن مسعدة البلخي ثم البصري ت. ٢٢١هـ) لتعديل هذا الهيكل التنظيمي بإضافة بحر شعري[١١] لبحور الخليل.

---

[٩] المرزوقي، أبو علي أحمد، *شرح ديوان الحماسة*، ط.١، تحقيق: أحمد أمين وعبد السلام هارون، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥١م، ٤٥.

[١٠] المرزوقي، *شرح ديوان الحماسة*، ٤٥.

[١١] سماه المحدث أو المتدارك.

DOI: 10.21608/jguaa.2025.350600.1370

إن مراعاة الفرق بين كتابة نص برموزه الكتابية الأصيلة، وبرموز كتابية للغة أخرى ذات نظام صوتي قريب أو بعيد للغة الأصيلة، ينبغي أن يُؤخذ بعين الاعتبار في أثناء الممارسة التحليلية لهذين البيتين؛ لأن هذا التباين على مستوى النُظم الصوتية والصرفية والتركيبية سينتج عنه بالضرورة تباينٌ على مستوى الترميز، وهو ما يعتمد بشكل كبير على الرؤية الفردية للذات المُرَمّزَة وقدرتها على تحقيق التوازن بين أنظمة اللغتين بنظاميهما الكتابيين؛ فإذا رغبنا في كتابة جملة عربية بحروف لاتينية في وقتنا المعاصر، وأعطينا هذه الجملة لشخصين ليس لديهما دراية كافية بنظام الكتابة الصوتية المُتعَارف عليها ستكون النتيجة نصين غير متطابقين بالضرورة؛ لأن كلّاً من المُرَمّزَيْن قد استخدم قدراته الخاصة ومرجعياته المعرفية للتوفيق بين النظامين اللغويين.

وعليه، فإننا بإزاء ما يُطلِق عليه علماء نقد الخطاب "إعادة بناء السياق" (Recontextualization) حيث أعيد تجذير النص العربي في سياقه النبطي الجديد، وهو ما يفتح الباب واسعًا لتوقُّع حدوث عملية تهيئة مُصاحبة لعملية التجذير، تُستخدَم فيها أدواتٌ متعددة كالحذف والإحلال والاستبدال؛ وذلك على مستوى التنظيم الجمعي للنظام اللغويّ "وتُعدّ جدلية الإحلال والإزاحة واحدة من سمات آليات التَّناصّ، أو حركية علاقات النصوص بعضها بالبعض الآخر"[١٢]، وعندما ننتقل إلى الممارسة الفردية فإن توقع حدوث مثل هذه العُدولات يبدو أمرًا بدهيًّا ينتج قدرا كبيرًا من التباين بين رؤيتنا الحالية ورؤية الناقِش بمرجعيته المختلفة.

قد يكون النص الأصيل الذي يغدو هنا نصًّا مُحاكًا متعاليًا قد مرّ في أثناء عملية انتقاله الأولى (من العربية إلى النبطية) أو الثانية (من النبطية الجمعية إلى لغة التدوين الفردية) بجملة من الانزياحات التي تمتْ بشكل واع أو غير واع جعلتنا بإزاء إحدى عمليتي المُماثَلة أو المُشابَهة.

فالمُماثلة تعني المحاكاة شبه التامة بين النصين "ومعناه أن نصًّا إذا كانت خصائصه الذاتية هي: (+أ، +ب، +ج، +د...)، ونصًّا آخر إذا كانت خصائصه الذاتية هي: (+أ، +ج، +د...) فإن العلاقة بينهما هي علاقة مُماثلة، إذ لا يفرق بينهما إلا خاصة ذاتية واحدة هي +ب"[١٣]، وتتمثل هذه الخاصية هنا في تحوُّل النص من نص ذي خصائص عروضية مائزة إلى نص ينتمي إلى خطاب الناقش ونظامه اللغوي، وبخلاف هذا الانزياح تظل البنيتان النصيّتان (الحالية والأصلية) مُحتفِظتين بعناصرهما نفسها دون أدنى اختلاف.

وفي المُشابهة تتبدَّى عمليةُ التحويل بصورة أجلى، فيتعرّض النصُّ المُستوعَب لجملة تدخُّلات الناقِش المستدعِي ينزاح النص بها عن صورته الأولى، وتُباعد بين النص المحدث وبين النص الأصلي، ومِن ثَمَّ تتقلص الخصائص الذاتية المُشترَكة بين النصين في مقابل تمدُّد الخصائص المائزة التي هي ذاتها التغيرات التي تطرأ على النص الأصلي قبل إدماجه في خطاب الناقش وتحوَّلِه إلى نص مُستوعَب، وهي العملية التي يعبّر عنها

[١٢] حافظ، صبري، "التَّناصّ وإشاريات العمل الأدبي"، *مجلة ألف الجامعة الأمريكية*، مج. ٤، ١٩٨٤م، ٧٧–١٠٠.

[١٣] مفتاح، محمد، *دينامية النص (إنجاز وتنظير)*. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٠م، ٨٣.

عبد اللطيف بقوله: "يمارس كل فعل للتناصّ عملية استبعاد واختيار –واعية أو غير واعية– من بين العناصر المكونة للنص الذي يتناص معه، ثم يقوم بعملية تكييف لما يختاره"[١٤].

نخلص من هذا إلى ضرورة إعادة ضبط القراءة التحليلية المرتبطة بسؤال النوع للنص العربي المُدمَج في بُنية النص النبطي، وتنحية اختبار كفاءة اشتغال معايير آنية – ترسّخت عبر ممارسات تداولية متعاقبة – على نص سابق أُنتِج في سياق مختلف، وتعرَّض في أثناء عملية الانتقال من نظامه الأصيل إلى نظامه الجديد إلى جملة تعديلات، مما يستلزم التعاطي المرن الذي يستبدل بمعيار التطابق معيار التشابه الذي يبدو أكثر منطقية هنا بمراعاة التباين الزمني والفارق المهاريّ، وبمراعاة طبيعة النص الإبداعي وتمرّده على الرغبة المِلحاحة في تنميطه في قوانين كُلِّية وثابتة، وتأبى الخضوع للسُنَن والأعراف المُكرَّسة.

في ضوء ما سبق، يمكننا إعادة قراءة الطبيعة الوزنية للنص على النحو التالي:

الظاهرة الأدبية العروضية: المتمثلة بنص تكريسي يدّعى البعض أنه يتفق والوزن الشعري العربي[١٥]؛ ولذلك فإن السطرين الرابع والخامس ليسا إلا بيتي شعر وهما أقدم نص شعري كما يدعي البعض[١٦]، بينما يرفض آخرون ذلك إما لاعتبارهم أن في الأمر تكلفًا، إذ لا يمكننا استخدام نصوص غير مشكّلة بالحركات للبتّ في وزن نصّ شعري[١٧] أو لأن النقاش المقدّم –برأي بعضهم– لم يقدّم أجوبة شافية على المستوى العروضي[١٨].

وعلى أية حال، فإنّ النص يتمتّع بِحسّ أدبي واضح يُنبئ بخصوصيته في هذا السياق، إذ تمّ استدعاؤه لتحقيق غرض وظّفه الكاتب لتعزيز مقاله، وكأنها ترانيم دينية معهودة عندهم تُتلى وترتّل في مثل هذه التَقْدِمات[١٩]. ويرى معظم الباحثين أن الغرض الديني واضح لا لبس فيه، ولكنهم اختلفوا في تفسير بعض الألفاظ التي أدت لمعانٍ تدور في ذات السياق التكريسي[٢٠]، ولا يختلف الباحثون بتبديلها الوزن كثيرًا[٢١].

---

[١٤] عبد اللطيف، عماد، *تحليل الخطاب السياسي (البلاغة، السلطة، المقاومة)*، ط.١، عمان: دار كنوز المعرفة، ٢٠٢٠م، ٢٦٧.

[15] BELLAMY, J., «Arabic Verses from the First/Second Century: the Inscription of ʻĒn ʻAvdat», *Journal of Semitic Studies* 35, 1990, https://doi.org/10.1093/jss/XXXV.1.73; AL-HAMAD, "Revisiting the Arabic Verses of the ʻAin ʻAvdat Inscription", KROPP, M., «A Puzzle of Old Arabic Tenses and Syntax: The Inscription of 'En 'Avdat», *Proceedings of the Arabian Seminar* 24, 1994; ; KROPP,«The ʿAyn ʿAbada Inscription Thirty Years Later», 53-74 and NOJA, «A Further Discussion of the Arabic Sentence of the lst Century A.D.».

[16] BELLAMY, "Arabic Verses from the First/Second Century: the Inscription of ʻĒn ʻAvdat", 78.

[17] BEESTON, A., "Antecedents of Classical Arabie Verse?", In *Festschrift Ewald Wagner*, edited by Heinrichs, W. and Schoeler, G., 1: 234-243, Beirut: Steiner, 1994, 243; TESTEN, D., «The Arabic of the ʿEn ʿAvdat Inscription», *Journal of Near Eastern Studies* 35, 1996, 281–292.

[18] HÄMEEN-ANTTILA, «A Note on the ʻĒn Avdat Inscription», 35; ABULHAB, S., *Inscriptional Evidence of Pre-Islamic Classical Arabic: Selected Readings in the Nabataean, Musnad, and Akkadian Inscriptions*, New York: Blautopf Publishing, 2013.

[19] NOJA, "A Further Discussion of the Arabic Sentence of the lst Century A.D.", 185.

[20] AL-JALLAD, A., "The earliest stages of Arabic and its linguistic classification", In *Routledge Handbook of Arabic Linguistics*, edited by Elabbas Benmamoun and Reem Bassiouney, 315-331, London: Routledge, 2018.

DOI: 10.21608/jguaa.2025.350600.1370

ولعلنا معنيون بالظاهرة الأخيرة، وإن تمّ تناول بعض الملاحظات حول الظاهرتين الأخريين فسيكون عرضًا ولخدمة النقاش. أما الأسئلة المطروحة تاليًا: أين يبدأ النص المتوهّم بشعريته؟ وهل النص العربي في السطرين الخامس والسادس بالفعل شعريٌ أو على الأقل مرحلة مبكرة من مراحل الشعر العربي؟ ثم هل يمكن التوصل لذلك من خلال نص يفتقر إلى الحركات؟ وهل يمكن أن نتوصل لوزن النص عروضيًّا بقراءة جديدة للنص؟

٢ . العبارة العربية في نقش عبادة عروضيًّا:

كما أسلفنا في القسم الأول، فإنّ شعرية النص لا تتوقّف على الشكل، ولكنّنا في الوقت نفسه أولينا هذا الشق اهتمامًا باعتباره أحد العناصر التي اتفق عليه نقاد الشعر. وقد حظي النقش باهتمام لدواعٍ مختلفة، أهمها السطران الجدليّن اللذان يتوهّم بشعريتهما كما ظن الكثيرون[٢٢]، تعرّضت لهما التفسيرات والقراءات التالية:

٢,١ قراءة بيلامي (Bellamy)[٢٣]:

كما سنلحظ في العبارات الثلاث التي وردت في السطرين التاليين فإنه قد غيّر بعض الكلمات مثل كلمة "أداد" بمعنى "تقرّح"، وقرأ "هنا" بدل الشرطية عند نيجيف، وعليه فقد انتهت قراءته للتالي:

–فيفعل لا فدى ولا أثرا

فعول/ مفاعلن/ فعول/ مفا

– فكان هنا يبغينا الموت لا

فعول/ مفاعيلن/ – ! – ب/ . ! . .

–أبغاهو فكان هنا أداد جرحٌ لا يردينا

فعول/ مفاعلن/ فعولن/ . ! . .

وبهذه القراءة أعلاه توصّل بيلامي إلى أن السطرين الرابع والخامس يحويان ثلاثة أشطر شعرية على البحر الطويل، توزّعت على اثنتي عشرة تفعيلة تتّفق ثمان منها مع الأوزان الشعرية، ولا يَعُدّ بيستون (Beeston) نقاش بيلامي العروضيّ مُقنِعًا[٢٤].

وبلا شكّ، فإنّه وإن أخذنا بقراءته التي فيها تكلُّف دون تقديم براهين مقنعة لن نتوصّل لنصّ شعري يُعتمد عليه في تأريخ بدايات الشعر العربي، فالكسر في قراءته العروضية واضح لا لَبْس فيه، والمعنى مُترهّل، ويتفق

---

[21] LACERENZA, «Appunti sull'iscrizione nabateo-araba di ʻAyn ʻAvdat», 113.

[٢٢] انظر في سرد هذه الدراسات وتوجيهاتها: AMBROS,«Zur Inschrift von 'En 'Avdat», 90-92

[23] BELLAMY, «Arabic Verses from the First/Second Century: the Inscription of ʻĒn ʻAvdat», 78-79

[24] BESSTON, "Antecedents of Classical Arabie Verse?", 242

هامين–أنتيلا مع هذا الرأي بعد أن فنّد آراء بيلامي بقوله: "إن صحّت النقاط التي سبق مناقشتها أو أيٌّ منها، فإن قراءة بيلامي لا بدّ أن تسقط وكذلك الافتراضات العروضية المبنية عليها"[٢٥]، وتَخلّل نقاشه فجوات عديدة، إذ ساق فيه افتراضات كثيرة، كاعتباره أن هذا الشعر مُغنًّى وبالتالي فإطالة الحركات الختامية وارد[٢٦]، وافتراضه التطوّري للشعر العربي المبنِي –في تقديرنا– على النظرية الدارونية، والذي يقتضي وجود بواكير لا تنسجم بالضرورة مع البحور التي نعرفها منذ القرن السادس بل تُعَدّ سابقة لها[٢٧].

٢,٢ قراءة سنير (Snir)[٢٨]:

وقد اختار سنير شطرين من النص يدرسهما عروضيًّا[٢٩]، غير آبه بالتقديم الذي سبقهما، وقد اقترح قراءات جديدة لبعض الكلمات في النص، فقد فسّر "هنا" على أنها ضمير المتكلم "أنا"، كما وضع كلمة "جزح" بمعنى "الاغتنام"، واستبدل "يردنا" من بـ"يريدنا". وبذلك انتهى النص للقراءة على الحال التالي:

–فإن هنا يبغينا الموت لا أبغه

مفاعلن/ فاعلن/ فاعلن/ فاعلن

–فإن هنا أُريدَ جزحًا لا يريدنا

مفاعلن/ مفاعيلن/ فاعلاتن

ورغم أن سينر ناقش عدة جوانب عروضية في نقاشات مستفيضة في غير موضعها خرجت به من قراءة النقش لتحكيم الأبواب العروضية لدى الخليل وإن كانت تنطبق على هذين البيتين، وناقش مسألة الاحتكام إلى البحور التي اقترحها الخليل حصرًا، أم أن علينا توقع بحور أخرى لم يضعها الخليل وجرت عليها ألسنة العرب[٣٠].

ثم بيّن أنه إن وضعت التفعيلات على البحور المعتمدة لدى العرب المتأخرين، فإن الأرجح أن يكون على البحر البسيط، مع أنه في الشطر الثاني لم تسعفه الوسيلة في أن يجد إلا مقطعًا طويلا في التفعيلة الأخيرة.

ومع ذلك فقد انتهى البحث إلى إشارات جديرة بالاهتمام في الوقت ذاته الذي تفتح فيه أبواب نقاش مستقبلي[٣١].

---

[25] HÄMEEN-ANTTILA, "A Note on the ʻĒn Avdat Inscription", 33-35.

[26] BELLAMY,«Arabic Verses from the First/Second Century: the Inscription of ʻĒn ʻAvdat», 79.

[27] BELLAMY, «Arabic Verses from the First/Second Century: the Inscription of ʻĒn ʻAvdat», 78.

[28] SNIR, R., «The Inscription of 'En 'Abdat. An Early Evolutionary-Stage of Ancient Arabic Poetry», *Abr-Nahrain* 31, 1993, 116-120.

[٢٩] يعتقد سنير أن هذه العبارات العربية هي أقدم شاهد عربي عثر عليه حتى حينه

SNIR, «The Inscription of 'En 'Abdat», 113.

[30] SNIR, «The Inscription of 'En 'Abdat», 120-121, 123.

[31] SNIR, «The Inscription of 'En 'Abdat», 123.

DOI: 10.21608/jguaa.2025.350600.1370

٢,٣ قراءة نوجا (Noja)[٣٢]:

وقد اختار نوجا شطرين من النص يدرسهما عروضيًّا، دون أن يعتمد التقديم الطقوسي الذي سبقهما جزء من النص الشعري، كما اقترح قراءات جديدة لبعض الكلمات في النص، حيث كانت "فَكِن" عند نوجا فهي ضد كلمة "لكن"[٣٣]، وإن سلمنا بهذا الافتراض الذي يتحفظ عليه آخرون[٣٤]، فإن هناك فجوات فيما قدم إذ لم يضع الكاتب حركة طويلة كما فعل بعد "لا الناهية" في النص نفسه، و"هِنا" عنده ظرفية وتستخدم هنا للإثبات، أما في الشطر الأخير فإنه يقرأ "أرُدُّ" و "يردّنا". وانتهى النص للتالي:

–فَكِن هِنا يبغنا الموتو لا أُبغه

متفعلن/فاعلاتن/مستفعل/ ب .

–فَكِن هِنا أرُدُّ جرحو لا يردُّنا

متفعلن/متفعلن/مستفعلن/ ب .

أما من الناحية العروضية، فيرى نوجا أن التفعيلات الشعرية في هاتين العبارتين تقيم نصا شعريا أو محاولات شعرية جادة على بحر الرجز، ولكن الشطرين لا يتفقان في بعض التفعيلات مع الرجز، وهو ما أشار إليه بيستون في نقده تحليل نوجا[٣٥]، وقد حصل خطأ –ربما– مطبعي في أحد المقاطع.

٢,٤ قراءة كروب (Kropp)[٣٦]:

أما كروب فقد اختار في تحليله المتكرر للنقش وإعادة قراءته التركيز على عبارات النقش الثلاث الأخيرة المتوهّم بعربيّتها ليتحدث عن شاعريتها وعن ارتباط الشعر بالنصوص المقدسة أكثر من عنايته التفصيلية بالجانب العروضي رغم إيلائه لهذا الجانب بعض اهتمامه، كما اقترح قراءات جديدة لبعض الكلمات في النص، فتجده يفسّر "فَكُن هنا" على أنها تعني "وليكن بالتالي..." و"هنا" مرتبطة عنده بالفعل الدال على الوجود[٣٧]، واتفق في نهاية الأمر مع بيلامي في قراءته "أدد" بديلا عن "أراد"، وإن سلمنا بهذا الافتراض فلِمَ لم يضع الكاتب حركة

32 NOJA, "A Further Discussion of the Arabic Sentence of the lst Century A.D.", 185-١٨6

33 NOJA, "A Further Discussion of the Arabic Sentence of the lst Century A.D.", 185.

34 BEESTON, "Antecedents of Classical Arabie Verse?", 240

35 BEESTON, "Antecedents of Classical Arabie Verse?", 242

36 KROPP, «A Puzzle of Old Arabic Tenses and Syntax», 167-171; KROPP, M., «Iatromagie und der Beginn der arabischen Schriftsprache: die nabatäisch-arabische Inschrift von ʿAyn ʿAbada», *Mélanges de l'Université Saint-Joseph de Beyrouth* 55, 2002, 91-117 and KROPP, «The ʿAyn ʿAbada Inscription Thirty Years Later», 53-74.

37 KROPP, «A Puzzle of Old Arabic Tenses and Syntax», 168, ١71

طويلة كما فعل بعد "لا الناهية" في النص نفسه، و"هِنا" عنده ظرفية وتستخدم هنا للإثبات. وانتهى النص عند كروب في نسخته الأولى للتالي:

–فيفعل لا فدى ولا آثارا

–فَكُن–هنا يبغنا المَوْتو لا أُبغاه

–فَكُن–هنا أُداد جُرحو لا يددنا

ورغم أنه اكتفى في نقاشه على أن النص يُستحسن أن يُقرأ شعرًا لا نثرًا؛ فإن التقطيع العروضي المقدّم انطوى على أخطاء واضحة غير مبررة في النقاش[٣٨].

أما نسخته النهائية في عام ٢٠١٧م:

–فيفعل لا فدى ولا آثارا

–فَكُن–هنا يبغنا المَوْت ولا أَبغاه

–فَكُن–هنا أُداد جُرح ولا يُدِدنا

والجديد في قراءته المقترحة اعتباره الواو للتأكيد أو أداة ممهّدة لجواب الشرط وهو ما يفضّله، وليست الواو هنا "واو عمرو" التي تظهر نهايات الأسماء العربية في النص النبطي[٣٩]، ولم يولِ الجانب العروضي اهتمامًا كبيرًا، بل أشار لعدم وجود قيمة عروضية معتبرة في الآرامية والعربية للوزن الذي انتهى إليه بتقطيعه للنص[٤٠].

٢,٥ قراءة أبو الحب (Abulhab)[٤١]:

لعل الإضافة في قراءة أبو الحب هي إعادة قراءة الحرف الخامس في السطر الخامس على أنه "م" وليس "ك"[٤٢]، كما يقرأ الكلمة الرابعة على شكلين أولهما أن تكون "أذذ" تتصل بالكلمة العربية "أذى" بمعنى الإيلام حسب تأويله، والشكل الثاني أن تكون كلمتان "إذ ذا"[٤٣] وبذلك تتشكّل له قراءة تفسيرية جديدة بوجوه مختلفة. ومن ثمّ ستؤثر أية إضافة أو حذف في الميزان العروضي الحسّاس؛ ولذلك قدّم لنا أربع قراءات مقترحة بناء على

---

38 KROPP, «A Puzzle of Old Arabic Tenses and Syntax», 167.

39 KROPP, «The ʿAyn ʿAbada Inscription Thirty Years Later», 68-69.

40 KROPP, «The ʿAyn ʿAbada Inscription Thirty Years Later», 66-67.

41 ABULHAB, *Inscriptional Evidence of Pre-Islamic Classical Arabic"*.

42 ABULHAB, *Inscriptional Evidence of Pre-Islamic Classical Arabic*, 21.

43 ABULHAB, *Inscriptional Evidence of Pre-Islamic Classical Arabic*, 23. ولم يقدّم شواهد مقابلة من نصوص أخرى أو نقاشًا حول قراءة الكلمة على هذا النحو، بل تركه لتقدير الخبراء الشعراء الحديثين الذين استشارهم في الوزن وبالتالي ترجيح القراءة الأنسب.

DOI: 10.21608/jguaa.2025.350600.1370

التبديلات التي أجراها، مع ميل اثنين من مستشاريه الشعراء لقراءة النص المتوهّم بعربيّته حسب القراءة الرابعة التي نوردها هنا[٤٤]:

- فـيفعل لا فِـدا ولا أثَـرا فَكان هنـا يـبْـغِنـا
- المَوْتُ لا أبْغَهُ ُمن هنا إذ ذا جُرح لا يُرِدِنا

وقد ترك الباب مواربًا في تقدير البحر الشعري المتوقع لهاتين العبارتين في النص، ليس على مستوى القراءات الأربع التي يقترحها، بل حتى في الوزن العروضي للقراءة الرابعة نفسها التي اختلفت فيها آراء الخبراء الشعراء إلى خيارات متعدّدة (البحر البسيط، والطويل، ومجزوء الرجز) لم يقوّمها طويلا ولا تناولها بالنقد أو الترجيح.

٢,٦ قراءة تيستين (Testen)[٤٥]:

وممّا يميّز عمل تيستين هو عرضه الجوانب اللغوية وتفصيله لها في القراءات الأولى التي سبقته بشكل منهجيّ يحاول الإفادة منها للخلوص إلى رأيه الخاص، مستبعِدًا الارتباط الواضح بتقاليد الشعر العربي التي اقترحها جلّ من سبقه (بيلامي، وشيفمان، ونوجا، وسنير)[٤٦]، ولكنه في الوقت نفسه يقترح أربع قراءات بعد صياغة معادلته التالية بعد استقراء من سبقه دون الالتفات طويلًا للجدل العروضي الذي تقدّموا به:

- فيفعل لِأوفرَ ولا أوترَ
- في كُنْهِنا يبعِنا الموت ولا أبعه
- في كُنْهِنا أرُدُّ جارِحي ولا يَرُدّنا

وهي قراءة حاولت أن تقدّم حلولًا لغويّة عربية، ولكنّها لم تغلق الجدل حول هذا النقش لمدة طويلة بعد ذلك.

٢,٧ قراءتا الحمد (Al-Hamad):

قد يفسح الجدل مساحة لقراءة جديدة، تحاول النظر والإفادة مما سبقها من آراء الباحثين الذين أثروا هذا النقاش على مدى العقود الثلاثة الماضية، وهو ما حاول الحمد فعله في قراءتيه اللتين تقدّم بهما في بحثين منفصلين، إذ أنعم النظر في قراءته الأولى من الناحية العروضية[٤٧].

---

[44] ABULHAB, *Inscriptional Evidence of Pre-Islamic Classical Arabic*, 23.

[45] TESTEN, «The Arabic of the ʿEn ʿAvdat Inscription», 281–292.

[46] TESTEN, «The Arabic of the ʿEn ʿAvdat Inscription», 292.

[٤٧] ناقش الحمد هذه القراءة بالتفصيل في تحليله العروضي للعبارتين العربيتين في النقش AL-HAMAD, "Revisiting the Arabic Verses of the 'Ain 'Avdat Inscription"، وهو تحديث لقراءة سابقة قدمها تحليلا للنقش نفسه والتحليل العروضي فيه

وقد اعتمد الحمد –إلى حدّ بعيد– التحليل اللغوي الذي خَلُصَت إليه القراءة الأولية للنقش، بتغيير لمفهوم أداة الشرط "هـ ن ا" التي قرأتها الدراسة الأولية على أنها تقابل "إن" الشرطية إلا إن الحمد يرى أنها تقابل "أنّى" الشرطية[٤٨]، ولكن هل يمكن لهذا التبرير أن يستقيم أو –ربما– أن يساعد في حلّ معضلة الوزن التي واجهت الباحثين السابقين، والتي ستؤثر حتما في القراءة العروضية للأبيات الشعرية التي أمامنا.

كما يعتقد الحمد أن الشطر الأول "فيفعل لا فدى ولا أثرا" إنما هو تمهيد وجزء من التكريس الذي سينتهي بشطري شعر، والقراءة العروضية لهما هي التالية[٤٩]:

–فكان أنّى يبغنا الموت لا أبغه

ب–ب–/––ب–/–ب–/–ب–

متفعلن/ مستفعلن/ فاعلن/ فاعلن

–فكان أنّى أراد جرح لا يردنا

ب–ب–/–ب–ب–/–ب–/–ب–

متفعلن/ فاعلات/ فاعلن/ فاعلن[٥٠]

فهذا البيت بشطريه ينسجم بقراءته المقدّمة هنا مع البحر المتقارب، تسعى الدراسة في الجزء التالي إلى الانتقال من سؤال النوع بحدوده التصنيفية المقيدة إلى سؤال الكفاءة بأبعاده الوظيفية المنفتحة، ويتأسس الجهازُ المُصطَلحيّ في هذا الجزء على مُصطلح "التَّناصّ"[٥١] وما ارتبط به مِن وقائع في تداول النص الأدبي، وما انبثق

عام ٢٠١٦؛ الحمد، منتصر، إرهاصات شعرية مبكرة في نقش "عين عبادة" النبطي من القرن الأول الميلادي، فقد اعتقد أوّلا أن البحر البسيط هو الأنسب وقد عدل عن هذا الرأي في عام ٢٠١٨ ليُلحق النص الشعري بالبحر المتقارب، وهي القراءة المعتمدة في هذا البحث.

[٤٨] جادل هاميين–أنتيلا بأن اعتبار *hn'* حرف شرط هو "نقطة قابلة للنقاش بحد ذاتها" HÄMEEN-ANTTILA, "A Note on the Ēn Avdat Inscription", 35، ولكن الحمد اقترح أن هذه الأداة تمثل شكلاً من أشكال حرف الشرط العربي "أنَّى"

AL-HAMAD, M., «Nabataean in Contact With Arabic: Grammatical Borrowing», *Proceedings of the Seminar for Arabian Studies* 44, 2014, 4.

[49] AL-HAMAD, "Revisiting the Arabic Verses of the 'Ain 'Avdat Inscription".

[٥٠] انظر تفصيل النقاش حول القراءة العروضية للحمد واعتماده البحر المتقارب مقابل القراءات العروضية الأخرى

AL-HAMAD, "Revisiting the Arabic Verses of the 'Ain 'Avdat Inscription",162-167 .

[٥١] التَّناصّ في أبسط تعريفاته هو "العلاقة أو العلاقات بين نص ما والنصوص التي يتضمَّنها، أو يُعيد كتابتها، أو يستوعبها، أو يبسّطها، أو بعامة يحوّلها، والتي وفقًا لها يصبح مفهومًا"، برنس، جيرالد، *المصطلح السردي*، ترجمة: عابد خزندار، مراجعة: محمد بريري، ط.١، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، ٢٠٠٣م، ١١٧.

DOI: 10.21608/jguaa.2025.350600.1370

عنه من تفريعات نظريّة ذات صلة وثيقة بآلية التشكيل النصي والحركة الثنائية التي تنتجه من داخله ومن علاقاته بالمنظومة النصية الإنسانية، فهو المُتعلِّق بالعلاقات الإحالية التي يعقدها النصُّ الماثلُ/الحاليّ مع مجموعة من النصوص الأخرى . غير المُنْتَمِية إليه بحكم نشأتها. والتي يوظّفها ضمن بنيته بحيث تصبح جزءًا من مكوناته.

٣ . العبارة العربية في نقش عبادة أدبيًّا:

٣,١ التناصية... رهانات القراءة وآليات التشكّل:

تنشغل الدراسة في الجزء التالي بصورة مباشرة بسؤال الشعرية بامتداداته التي يصعب تطويق تفاصيلها، ونتاجاته الإجرائية التي أحدثت تحولاً دالًا في تفسير الأدب، يتحدد المنطلق المحوري للقراءة بوجهيها التشكيليّ والدلاليّ هنا في مصطلح "التَّناصّ"– المُتغلغل في ثنايا المناهج البنيوية والسيميولوجية والتفكيكية– وما انبثق عنه من ممارسات إجرائية تُعنى بطرائق التشكيل النصي، وتتجاوز مفهوم النص المُغلَق–الذي دعَّمه الشكلانيون الروس– ليُستبدل بالنص المُنتَج، فالتَّناصّ هو العلاقة "بين نصّ ما والنصوص التي يتضمَّنها، أو يُعيد كتابتها، أو يستوعبها، أو يبسّطها، أو بعامة يحوّلها، والتي وفقًا لها يصبح مفهومًا"[٥٢]، ومن ثم فإن فاعليته تتشكَّل من خلال العلاقات المرجعية التي يقيمها النصُّ الماثل مع نصوص خارجية، يوظّفها ضمن شبكته النصية لتغدو إحدى عناصره التي تخضع لإجراءات محددة –تتباين من البساطة إلى التعقيد– كي تصير أكثر انسجامًا مع البنية الجديدة الحاضِنة لها، بحيث يصعب فصلها عن جسدها الجديد إلا في إطار الممارسة التحليلية.

واستنادًا لهذا تتغيّا الدراسة هنا اختبار كفاءة إنتاجية عملية التَّناصّ أو بصيغة أخرى تسعى إلى تتبع الاستتباعات الإيجابية التي تحققتْ للنص الشعري الماثل بفضل تفاعله مع نصوص شعرية أخرى؛ وذلك باعتبار أن هذه النصوص المُتناص معها "عندما تحضر كَبُنية نصية، فمعنى ذلك أن لها وظيفة معينة، يجب كشفها وتحليلها، ما دامت تأتي في سياق نصيّ محدد، وتتفاعل مع بنية نصية معينة"[٥٣].

إن استدعاء نص ينتمي إلى نظام لغوي مختلف عن السياق اللغوي المهيمن وإدماجه فيه، يجعلنا بإزاء عملية تناص/تفاعل نصي بين نصين أولهما: يكتسب صفته الأصيلة (النص الماثل) بفضل القوة المرجعية للغة المهيمنة على العلاقة الحاكمة بين مرسل الرسالة النصية ومتلقيها، وثانيهما: يكتسب الصفة الطارئة (النص المستدعَى) بفضل عدم تجذره في هذا النظام المهيمن، ويمكننا بسهولة تحديد هذا النص المستدعَى في النص العربي (البيتين الشعريين) في حين يظل بقية المتن محتفظًا لذاته بمرجعيّته التأسيسية.

---

[٥٢] برنس، المصطلح السردي، ١١٧.

[٥٣] يقطين، سعيد، *انفتاح النصّ الروائيّ (النصّ والسياق)*، ط.١، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٨٩م، ١١٤.

السؤال الذي ينطرح هنا هو: لماذا لجأ الكاتب/الناقش إلى استخدام النص العربي في هذا السياق؟ أو بصيغة أخرى ما القيمة الوظيفية التي حققها النص العربي للمتن النبطي؟

ننطلق هنا من مبدأ أن انفتاح النص على بنيات خارجية وتفاعله معها ينبغي أن يرتبط بحوافز وظيفية جمالية دلالية وأيديولوجية "فدخول هذه النصوص إلى نص جديد ينتج عنه بالضرورة تحويل في دوالها ومدلولاتها، وكأنّ النص يُعيد قراءة النصوص التي دخلت في نطاقه، ويقوم بتحويلها لفائدته الخاصة"[٥٤] التي تخدم قيمه الوظيفية بتنويعاتها الدلالية والأيديولوجية والجمالية.

إن السؤال عن الكيفية التي تم عبرها استيعاب/إدماج هذا الصنف من التَّناصّات (النصّ العربي) في إطار البنية النصية الحالية/الماثلة يبدو مهمًا لفهم عملية التفاعل النصي[٥٥] بما يؤثر بدرجات متفاوتة على الفاعلية الوظيفية للنصوص المتفاعَل معها/ المستدعاة.

يبدو لنا من خلال القراءة الاستكشافية أن تداخل هذا النوع من المتفاعِلات النصية تم من خلال نمط التَّداخل/التَّفاعل غير المُباشِر، فعندما تكون العلاقة بينهما علاقة تجاور، نكون بإزاء تفاعل مباشر وعندما تتحول العلاقة إلى علاقة التضمين أو الإدماج، نكون بإزاء تفاعل غير مباشر كما هو الحال هنا؛ حيث يأتي "النص عربي النشأة" مُضمَّنًا في بنية النص المستوعِب (النقش النبطي) ومُتداخلاً في نسيجه من خلال نظام صوتي أحادي، ودون توافر ما يؤشِّر إلى كون النص العربي نصًّا مُستوعَبًا، يقول يقطين: "إذا كان المناص يأتي ليجاور النص، فإننا في التَّناصّ كعملية نجد المُتَناصّ يأتي مُندمِجًا ضمن النص، بحيث يصعب على القارئ غير المُكوَّن أن يستطيع تبين وجود التَّناصّ أحيانًا، إذا غاب عنه تحديد المُتناصّ كبنية نصية مُدمجة في إطار بُنَى نصية أخرى هي الأصل، إنه بمثابة صيغة الخطاب المنقول غير المباشر، الذي يتكلّم فيه الراوي بصوته، وهو يتحدث عن صوت الآخر(الشخصية)"[٥٦].

---

[٥٤] لحمداني، حميد، "التَّناصّ وإنتاجية المعاني"، *مجلة علامات في النقد*، مج. ١٠، ع. ٤٠، ٢٠٠١، ٦٩.

[٥٥] يقترح سعيد يقطين أنه يقتضي استبدال "مصطلح "التفاعل النصي" بالتَّناصّ مُعلّلاً ذلك بأن التفاعل النصي "أعم من التَّناصّ ونفضله على التعاليات النصية التي هي مقابل Transetexttualite عند جينيت لدلالاتها الإيحائية البعيدة"؛ يقطين، *انفتاح النصّ الروائيّ (النصّ والسياق)*، ٩٨.

[٥٦] يقطين، *انفتاح النصّ الروائيّ (النصّ والسياق)*، ١١٥. كما تجدر الإشارة هنا إلى أن يقطين يستخدم مصطلح المناصة Paratexte، بمعنى التَّناصّ Intertextualite لدينا؛ يقطين، *انفتاح النصّ الروائيّ (النصّ والسياق)*، ٩٩.

DOI: 10.21608/jguaa.2025.350600.1370

٣,٢ الكفاءة الإنتاجية للممارسة التناصية:

إن تحديد كفاءة الممارسة التَّناصّية ترتهن بقدرة النص المستدعَى على تفعيل القيم الكلية للنص، بغض النظر عن الكيفيات التي تم بها التفاعل بينه وبين النصّ المُستَدعَى، ومن ثم سيُعنى الجزء التالي من الدراسة بمحاولة تحديد القيم الوظيفية للنص العربي داخل نقش عين عبادة.

يمكننا البدء بفرضية منطقية تدور حول أن ثمة نصًّا غير نبطي (نصًّا عربيًّا) قد مارس تأثيرًا ناجعًا على الوعي الجمعي للمُتحدِّثين باللغة النبطية من خلال تحقيقه قدرًا عاليًا من التداولية التي هيَّأت لهذا النص مزيدًا من الكفاءة الإنتاجية على مستويي الإرسال والاستقبال، وضمنتْ له ديمومة توظيفه، ووفقًا لهذا يمكن القول: إن التَّناصّ مع هذا النص العربي يستمد قوته من كونه انعكاسًا لتجليات الطاقة المرجعية التي ينبثق منها النص النبطي بمعناه الكبير بوصفه جملة من الطرائق التعبيرية والآليات التشكيلية والقيم التنظيمية التي يتم انتقالها عبر طبقات جيلية تعدِّل وتغيّر دون أن تنتهك خصوصية هذه البنية التأليفية المتوارثة، وهو ما يُطلق عليه رومان جاكبسون (Jakobson) في إطار نظرية الاتصال؛ السياق الذي "هو الرصيد الحضاري للقول، وهو مادة تغذيته لوقود حياته وبقائه، ولا تكون الرسالة بذات وظيفة إلا إذا أسعفها السياق بأسباب ذلك ووسائله، والمرء الذي لا يعرف الشعر النبطي مثلاً لا يستطيع فهم قصيدة نبطية، حتى وإن استمع إليها ألف مرة؛ لأنه لا يملك سياق هذه القصيدة، وهو الشعر النبطي كتقليد أدبي مُتميِّز، ولكل نص أدبي سياق يحتويه ويشكِّل له حالة انتماء وحالة إدراك"[٥٧] وهو ما حفز صاحب الرسالة النصية على التَّناصّ مع العبارة المشفرة.

ويمكن تحديد أول الوظائف التي يحققها التَّناصّ مع النص العربي في تعضيد دلالة النص الماثل وتأكيدها، وهو ما تكشفه البنية التأليفية للنص المُستنِد إلى تقنية المفارقة، ولعل المفارقة السياقية تكون أول هذه المظاهر وأبرزها؛ إننا هنا إزاء نص يُنْقَش في مناسبة احتفائية تتمثل في وضع نصب للآلهة، وهو سياق يوجه لتوقُّع الطبيعة النصية التي من المفترض أن تتناغم مع مُقتضيات هذا السياق، فنكون في مواجهة نص مشحون بمظاهر الاعتراف بالقدرات الإلهية والتقرُّب منه وغيرها من المحمولات الدلالية التي تدور في فلك التزلف، وبقدر ما يترسخ هذا الأمر في أفق توقعات المتلقي بقدر ما تكون صدمته من انتفاء هذا الحضور بهذا الشكل المعتاد.

وهو ما يتجلى بوضوح في عبارة الناقش "لا فدى ولا أثر" أي أنني فعلت هذا الأمر (بناء النُصب) لا فداء أو تكفيرًا عن جرم ارتكبته في الماضي ولا رغبة في ترك أثر أُجازى به.

---

[٥٧] الغَذّامي، عبد الله محمد، *الخطيئة والتكفير (من البنيويّة إلى التشريحيّة، قراءة نقدية لنموذج إنساني مُعاصر)*، ط.١، جدة: النادي الأدبي الثقافي، ١٩٨٥م، ٩.

يبدو "جرم الله" هنا معنيًّا بدرجة كبيرة بتنقية ممارسته – الممثلة في إنشاء هذا النصب – من أية مشوبات نفعية قد تكون سببا في تدنية قيمة الفعل بوصفه عملا منزها عن المنفعة، ومجاوزًا لرغبتي الجزاء أو اتقاء العقاب. ويبدو أن "جرم الله" كذلك قد راهن – لتحقيق هذه المعادلة – على العزف على محور الأنا داخل النص عبر تضخيم هذه "الأنا" باعتبار أن التضخيم المُبالغ فيه للذات سيرتقي بها فوق منزلة البشر، وهو ارتقاء ضروري لأنه يتم مصحوبا بالارتقاء فوق الرغبات البشرية في الجزاء على العمل أو اتقاء سخط الإله وذلك لسبب بسيط، هو انتفاء الحاجة النفعية المباشرة إلى من يجازي أو يعاقب، إنها آلية بالغة الحساسية والخطورة تسعى لتغييب الـ "هو" الذي يمثله الإله لصالح الـ "أنا" الحاضرة بحضور جرم الله.

تمارس "المُفارَقة" بوصفها استراتيجية خطابية نفوذها الشعري على النص، متجاوزة البعد اللغوي – وهو أكثر منتوجات تقنية المفارقة بساطةً على مستوى البناء، وسهولةً على مستوى التعيين– فالنصوص الناضجة يُتوقَّع منها أن تؤسِّس بنيتها المفارقة عبر صيغ أكثر عمقًا وشمولاً، وتشكِّل المفارقة الخطابية إحدى هذه الصيغ التي تتخلى عن الصفات الجزئية والانعزالية، وتكتسب مزيدًا من الطبائع الكلية الاندماجية، مُستندةً في تشكُّلها إلى مبدأ التعارض، ومُعضِّدةً حركيّتها الدؤوبة عبر مبدأ التراكم؛ بحيث تتناسل المفارقاتُ في إطار علاقتي التماثل والتخالف الداخليتين، دون أن تصل لدرجة الإشباع التي تؤثر سلبًا في الاستجابة الجمالية، ويأتي النص العربي ليعزز من قيمة المفارقة بين المتوقع والواقع، ولكنه يتجاوز هذا التناغم الخارجي مع البنية التأليفية وصولا إلى بنيته الداخلية المتكئة على عنصر المفارقة المفضي إلى حالة من حالات الصدام بين الرغبة التي تقف خلفها قوة سلطوية ممثلة في الذات الإلهية والرغبة التي تحركها الذات البشرية ممثلة في "جرم الله"، ويرتفع منحنى هذه المفارقة عندما يؤكد النص أن النصر سيكون حليفًا لرغبة الذات البشرية في انتهاك صريح للمتواضع عليه وفي تعارض واضح مع المخزون المعرفي البشري، ونلاحظ هنا إصرار الذات على استحضار الأنا بقوة وهو ما يتجلى بوضوح في السطر الأخير الذي تستند فيه الذات على مركزها القوي من خلال:

– استدعاء اسم العلم "جرم الله".

– استعمال الضمير المحيل إليه "بيده"

– توظيف قرينة "اليد" دون غيرها من أعضاء جسم الإنسان في إثبات الأثر، بما يدعم هدف التأكيد على ترك الأثر ووضع البصمة المميزة.

– توظيف كلمتي "الموت" و"الجرح" للتأكيد على الطبيعة الاستثنائية للذات في إطار علاقتها بالسلطة في أكثر مظاهر تجليها؛ فلما كنا في حضرة سياق اجتماعي تصارعي تشكل الحروب والمناوشات مكونًا رئيسًا لهيكلته البنائية، أصبح من البدهي توقع دور الموت أو بعض مظاهره كالجرح في دعم علاقة المنفعة بين العبد وربه، في محاولة من أولهما لسؤال العليّ القدير أن يقيه شرور الحروب، غير أن النص العربي يأتي ليشوش

DOI: 10.21608/jguaa.2025.350600.1370

على هذه العلاقة المألوفة بتعضيده أسطرة الذات بوصفها ذاتًا غير قابلة للموت أو معرضة للجرح، بغية تجريد هذه العلاقة من قيمتها الوظيفية المألوفة.

وتصل المفارقة ذروتها عندما تتحول لحظات هزيمة الذات إلى دليل على انتصارها، فازدياد درجة التضاد ثم البلوغ إلى التضاد المطلق قادر على توليد طاقة أكبر من الشعرية"[٥٨]، فالموت هذا الكائن الذي يخشاه الجميع لا يُرهِب جرم الله، فحتى لو اجتمعت الأسباب للموت كي يمارس سطوته، وحتى لو تهيأت الظروف له لكي ينال منا فهو لا يمكنه أن يفعل ذلك وهو ما يعمل على استثارة التوتر الدرامي داخل النص، "فالمفارقة الدرامية تؤدي بالحتمية والضرورة إلى الصراع الدرامي"[٥٩].

- ونلاحظ هنا عده علامات لغوية تحيل إلى الطبيعة الأسطورية للذات منها:

- استعمال ضمير الجمع (يبغنا) في إشارة إلى النمط التضخمي المهيمن على إدراك الذات لحدودها.

- استبدال الذات بالموت في موقع فاعل فعل الرغبة (لا أبغه) –وهو ما يتكرر مع الفعل "أراد"– فالذات تثبت لنفسها ما ليس لها ممثلا في فعل رفض الرغبة في الموت، فالذات هي التي ترفض الموت وهو عدول يبرهن على دور الذات المتنامي.

إن تكرار استخدام اسم العلم بشكل سابق ولاحق للنص المتناص معه يؤكد مجددا على الرغبة الملحة في إثبات حضور الذات، وهو ما يؤكد مجددا على الدور الداعم الذي يطرحه النص العربي بغنائيته التقليدية التي تحصر التجربة الشعرية داخل الإطار الذاتي (إطار الأنا)، فتنعدم المسافة الفاصلة بين الذات والموضوع نتيجة انفعال الأولى بالثاني وتأمُّلها له ثم إعادة تشكيله بنائيًّا.

فالتَّناصّ ذي الصيغة الشعرية يرتبط ارتباطًا حميمًا بالذات المُتلفِظة به بغض النظر عن أولية امتلاكها له عبر فعل الخلق، فالبطل الذي يستحضر التَّناصّ الشعري وينطق به يحل ذاته محل المُبدع القديم، ويجعل تجربته الذاتية الجديدة موازية لتجربة الآخر القديمة التي تمخّض عنها هذا التَّناصّ، فالتَّناصّ يقدِّم لنا تجربة خاصة بصاحبه الجديد الذي يعبّر عن مشاعره وأفكاره الخاصة على الرغم من تحويله لهذه التجربة الذاتية إلى تجربة فنية تتذرّع بعناصر لغة الشعر الخاصة كالإيقاع والتصوير والتركيب، و"الشاعر هنا لا يتحدث عن الآخرين، بل عن تجربة ذاتية، فموضوعه هو مشاعره"[٦٠].

---

[٥٨] أبو ديب، كمال، *في الشعرية*، ط.١، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٧م، ٤٦.

[٥٩] رشدي، رشاد، *نظرية الدراما من أرسطو إلى الآن*، ط.١، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٨م، ٣٠.

[٦٠] عناني، محمد، *الأدب وفنونه*، ط.١، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧م، ١٧.

يمكننا التعامل مع النص العربي هنا بوصفه شكلا من أشكال الحوار الداخلي أو الذاتي "المونولوجي" الذي تقوم به شخصية "جرم الله".

يتمثّل المونولوج في خطاب تفضي به الشخصية إلى نفسها في صورة مُناجاة، ويتكشَّف من خلاله وعي الشخصية بذاتها كخطوة أساسية لتحقيق وعيها التالي بالآخرين، إن الشخصية تؤسّس بذلك شكلاً من أشكال التواصل، ولكنه تواصل أكثر حميمية منه في حالة الحوار الخارجي "ديالوج"، تواصل بين صورتي الشخصية، الأولى البادية في الخارج، في حيز الوعي، والكامنة في الداخل، في حيز الوعي الأكثر عمقًا، ويحدث التواصل وفق شفرة خاصة، تظهر فيها إحدى الصورتين مُتعاليةً على الأخرى، ويترجم هذا التعالي نصيًّا وفق طرائق مُتباينة، قد تأتي في صورة مُنفردة أو مُجتمعة، كأن يتأطّر حديثها بالحكمة، أو تمارس دورَها في جلد الذات بمُصارحتها المؤلمة، أو باستخدامها لوسائل تعبيرية مُغايرة . على مستوى الخصائص . لتلك التي تستخدمها الأخرى، وأهم هذه الوسائل بالطبع . في حالة النص المكتوب . اللغة، فاستخدام لغة خاصة– كما هو الحال هنا –مثل اللغة ذات الصبغة الشعرية المغايرة يصبح مؤشرًا للمُفارقة بين صورتي الذات، صاحبة الوعي الأول التي ظهرتْ في النص من خلال النقش، وصاحبة الوعي الثاني التي تستخدم لغة شعرية تفرضها على السابقة في أثناء حوارهما الثنائي، فالنص العربي المستدعَى هنا "يقوم بدور المونولوج في القصة المعاصرة، ويصل الأمر حينما نتخيّل البطل ينشده لأن يتجاوز الدراما القصصية، ويصل إلى الدراما المُتحرّكة في النص والذات السامعة أو القارئة المُتلقية "[٦١].

ونهوض النصّ المستدعَى بهذا الدور يحقّق للنص مزيدًا من التناغم والانسجام، باعتباره مُعمِّقًا للبُعد الذاتي للنص تمثّل البطولة الفردية للبطل النقطة المُستقطِبة للخيوط الدرامية على حساب البُعد الجماعي الذي يتحقّق عبر تعدّد الأصوات داخل العمل "البولوفونية"؛ فالبطل (باعتبارنا إزاء ملحمة مرمزة ومختصرة) هو الذي يبني ويؤسس ويوثق ويدوّن ويحذّر ويعترف ويصارح وينفي ويظهر ويتحدّث، هذا الانفراد بالأدوار الرئيسة داخل البنية النصية يقابله انفراد مُماثِل على مستوى المنظور الذي يقدَّم النص من خلاله، إنه منظور الذات نفسها عندما تصير ذات راوية وموثقة، ومِن ثمّ يصبح تضخُّم هذا المنظور الفردي على حساب بقية وجهات النظر المستبعدة فاعلاً في المُحافظة على انسجام النص وتجانسه، وهذا ما يقوم به النص العربي هنا إنه يضخّم من منظور الصوت الفردي، لأن الحدث سيتعمّق في بناء رأسي ينغلق دون الأصوات، لا في بناء أفقي يتّسع للأصوات"[٦٢].

ويأتي الحوار الذاتي ليكون عاكسًا لحالة توتر المُتكلِّم "الذي يتوجه مباشرة إلى حواس القارئ، دون وسيط أو مرشّح (Filter) والمونولوج بهذا "يحقق أحد بناءات وجهة النظر عندما يساعد على كشف الصوت لنفسه،

---

[٦١] قطب، سيد محمد السيد، وآخرون، *فن الخبر القصصي*، القاهرة: كليوباترا للطباعة، ٢٠٠٢م، ٨٥.

[٦٢] التلاوي، محمد نجيب، *وجهة النظر (في رواية الأصوات العربية في مصر)*، ط.١، المنيا: مطبعة إكسبريس، ١٩٩٦م، ٦٣.

DOI: 10.21608/jguaa.2025.350600.1370

وهذه مُهمة أولية جزئية تكتمل بكشف الصوت للآخرين"[٦٣]، وهو ما يرفع من درجة درامية النص بتكريسه لحالة الثقة التي يشعر بها البطل بما يتناغم مع الحالة العامة للنص.

ومن القيم الوظيفية التي يحققها النص العربي المتضمن القيمة التوثيقية التي تعدّ "عنصرًا مركزيًّا في الثقافة الإنسانية، فلا شك أن موازاة المعنى/أو لنقل التشبيه بين النص العربي المُتفاعَل معه، وبنية النص الأساسية، أي النص قبل إدماجه للنص العربي– يُسهم في ترسيخ دلالة النص وتثبيت قيمه النصيّة؛ وذلك لما يمتاز به النص المُتفاعَل معه هنا من خصوصية –أشرنا إلى بعضها من قبل – تتمثل في امتياحه من نص له مرجعيته الخاصة وأثره على المتلقي، بوصفه نصًّا مُتعاليًا على المستويات الزمانية والمكانية والإيديولوجية "كما أن له بعدًا شاملاً في الذاكرة الجماعية يُدركه المتكلم والسامع"[٦٤]، فهو نص غير خاضع لثنائية الصدق والكذب بمعناهما المباشر، بل يظل مرتبطًا في الذاكرة الجمعية بمعيار الصدق اليقينيّ، ومِن ثمَّ يصبح ورودُه مُجاوِرًا لأي خطاب في مقام الاستشهاد دليلاً على صدق النص المجاور، فعندما يأتي النص العربي حاملاً الدلالة ذاتها التي تتخلل النص الآخر فهذا لا يعني سوى توجيه المتلقي إلى الوثوق في النص وإقناعه بمصداقية الدلالة المبثوثة على مداره "فهذه النصوص الخارجية تقوم بوظائف متعددة داخل النص أهمها اتخاذها حجة للإقناع"[٦٥]، والنص العربي بذلك يمثل حلقة الوصل بين المرسل والمتلقي بارتكازه على الذاكرة الجمعية لهما "فنحن نوظف النصوص الكلاسيكية الكبيرة العظيمة توظيفًا نفسيًّا وأيديولوجيًّا وذوقيًّا جماليًّا أيضًا، مثلما نوظف سائر أشكال الفنون القولية المُحيطة بنا للتواصل مع أنفسنا ومع الآخرين"[٦٦].

تنفتح القيمة الوظيفية للممارسة التناصية إلى حدود المتغيا الأيدلوجي الثقافي لنتحول من إطار العلاقة النفعية بين مرسل النص ومتلقيه (عبر غاية الدلالة) إلى علاقة بين مرسل النص والسياق الحاكم الذي تشكل اللغة أحد عناصره الرئيسة، وقد ذكرنا من قبل أن النص العربي المتناص معه ينتمي إلى النمط غير المباشر على مستوى آلية التوظيف ويتأسَّس هذا النوع من التفاعل على غياب مقصدية الاستدعاء من قِبل المبدع، ولا نقصد بغياب المقصدية انعدام وعي المرسل بالطبيعة المغايرة للنص المتناص معه وإنما عفوية فعل الاستدعاء بوصف الفعل وما يرتبط به من نصوص من الأمور التي لا تتعارض مع الوعي الجمعي الحاضن، فالنص العربي يتم إيراده في ثنايا النص بطريقة عفوية "إذ يتم التسرب من الغائب إلى الحاضر في غياب الوعي أو يتم

---

[٦٣] التلاوي، *وجهة النظر (في رواية الأصوات العربية في مصر)*، ٦٤

[٦٤] يقطين، سعيد، *الرواية والتراث السرديّ (من أجل وعي جديد بالتُّراث)*، ط.١، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٢م، ٥٧.

[٦٥] *يقطين، الرواية والتراث السرديّ (من أجل وعي جديد بالتُّراث)*، ١٠٥.

[٦٦] قطب، سيد محمد السيد؛ وسليم، عيسى مرسي، *أبجدية الرواية (دراسة نصيّة في أعمال ميرال الطحاوي)*، ط.١، القاهرة: دار الهاني للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٢م، ١٤٦.

ارتداد النص الحاضر إلى الغائب في نفس الظرف الذهني، مما يجعلنا في مواجهة تداخل بلا تداخل"[٦٧]، ومِنْ ثمَّ تختفي علامات المقصدية، مثل المُعلِّمات الشكلية واللفظية كعلامات التنصيص أو التمهيدات اللفظية الموحية بالطبيعة المغايرة للنصين، ويُصبح التعرّفُ إلى حدود النص المستوعَب مُعتمِدًا بشكل أساس على خبرة المُتلقي المعرفية، فالمعروف أنه "لإدراك مغزى الإحالة يجب أن يتوافر المتلقي على معرفة خلفية سابقة، وعلى سياق داخلي يجعل التوجيه مُمكنًا"[٦٨]، وفي ظل غياب التوجيه السياقي الداخلي تصير لمعارف المتلقي المتراكمة الدور الرئيس في تحديد أُطر عملية التفاعل النصي وإدراك مغزاها، ومن ثم لا يمكن تصور أن المرسل يتوجه إلى متلقيين بهذا الاستدعاء بُغية دعم الدلالة دون أن يكون واعيا بقدرة المتلقين على استيعاب القيم الجمالية الكامنة في نصّنا، وهو ما يترتب عليه بداهة شيوع هذا النص بقيمته الدلالية الخاصة لدى مجموعة المتلقين الذين يتوجه إليهم برسالته النصية سواء أكان هؤلاء من النخبة أو العوام، وهو ما يفترض شيوع هذا البيت الشعري وغيره من الأبيات الشعرية ذات النكهة العربية في السياق المنطوق والمكتوب النبطي عبر ممارسات تداولية ربما تكون قد جردت النص من مرجعيته اللغوية الأولى لكنها حافظت على قيمته الدلالية عندما نقلته إلى سياقها الجديد.

معنى هذا أن استدعاء هذا النص العربي يضمن بشكل كبير مقبولية العمل الذي هو عنصر مهم من عناصر النصية من خلال عزفه على البعد الجمعي داخل حيث يتلاشى البعد الفردي على مستوى الإنتاج ليحل محله البعدُ الجمعي لكون المُرسِل يستدعي النص العربي بوصفه مجموعة من الألفاظ والتراكيب والدلالات السائدة في المنظومة الثقافية، فهو استدعاء جمعي يستلهم طرائق الجماعة في التعبير دون مقصدية فردية، في حين تظلّ حصيلة المتلقي اللغوية والمعرفية ودرجة وعيه الفردي بتلك الألفاظ والتراكيب والدلالات هي المُهيمنة على مستوى الاستقبال.

وكما أن هذا السياق . الذي يمثِّل توظيف الخطاب الشعري أحد أهم مفرداته الرئيسة، قد مارس هيمنته على المُتلقين باعتبار أن إدراكه عملية لازبة لتذوّق النص وتفسيره، فإنه يمارس الهيمنة عينها وفي الوقت نفسه على مُنشِئ الخطاب الإبداعي في أثناء عملية إنتاج النصوص، فكما يقول الغذَّامي "ومثلما أن السياق ضروري كمبدأ للقراءة الصحيحة، فإنه ضروري للكتابة أيضًا، فالكاتب – كما يقول بارت – يكتب مُنطلِقًا من لغته التي ورثها عن سالفيه، ومن أسلوبه، وهو شبكة من الاستحواذ اللفظي ذات سمة خاصة شبه شعورية، والكتابة أو الذوق الكتابي هو شيء يتبنّاه الكاتب، وهي وظيفة يمنحها الكاتب للغته،؛ إنها ترابط من الأعراف المؤسّسة، يمكن

---

[٦٧] عبد المطلب، محمد، "التَّناصّ عند عبد القاهر الجرجاني"، *مجلة علامات في النقد*، مج.١، ع. ٣، ١٩٩٢م، ٦٣.

[٦٨] مفتاح، *دينامية النص (إنجاز وتنظير)*، ٩٠.

DOI: 10.21608/jguaa.2025.350600.1370

لفاعلية الكتابة أن تحدث لنفسها وجودًا في داخلها، إن رولان بارت هنا يؤكد على السياق كضرورة فنية لإحداث فاعلية الكتابة"[٦٩].

الخاتمة والنتائج:

تناول البحث نقش عين عبادة باعتباره نصًّا يحمل أهمية تاريخية ولغوية بالغة، حيث سلّط الضوء على التكامل بين اللغة النبطية والعربية، مما يعكس ديناميكية التفاعل النصي بين الثقافات واللغات.

وقد أفضتْ المقاربة التحليلية إلى جدلية تقييم النص العربي–النبطيّ المدمج في النقش، اتساقًا مع تباين القراءات بين كونه نصًّا شعريًّا أم مجرد تدوين لغوي تقليدي وسجع غنائي، كما أظهرت التحليلات العروضية للنص ضعف الاتساق مع الأوزان الشعرية العربية المألوفة، بينما قدمت وجهات نظر تُعزز إمكانية اعتباره شكلًا أوليًّا للشعر العربي.

أما على المستوى الأدبي، فقد استعرضت الدراسة آليات التناص(التفاعل النصي) واختبرت كفاءته الإنتاجية، خالصةً إلى التأثير الناجز للنص المستدعى في توسيع مستطاع المعنى بانفتاح النص على مزيد من القيم الدلالية التي يمكن الاستمرار في إنتاجها بالمراوحة بين قطبي التفاعل النصي والممارسة القرائية، مما يخرج النص من حالته المجردة إلى حالته الملموسة.

كما حقّق النصُّ مفارقتَه الدلالية بالاستناد إلى مبدأ التأويل المُفارِق، الذي يسمح بتعدد المداخل القرائية، واستثمار ما تتميّز به دوالُ النصوص من مراوحةٍ لمدلولاتها، مما حافظ على شفافية مقام المتلقي ودفعه إلى إخصاب النصوص بدلالات احتمالية لم تتأثر سلبًا بطبيعتها المكتنزة.

وأخيرًا، فإن الدراسة تشدد على أهمية إعادة تقييم النصوص التاريخية بمنهجية تجمع بين التحليل اللغوي والسياقي، مع الأخذ بعين الاعتبار الفوارق الزمنية والثقافية. كما تدعو إلى استثمار أدوات تحليلية متعددة لفهم أعمق للعلاقة بين النصوص المكتوبة بلغات مختلفة متجاوزة الحدود الزمكانية. ولعل البحث يبرز الحاجة إلى مرونة معيارية تتجاوز الأطر التقليدية وتتيح دراسة ديناميات النصوص القديمة بمعايير أكثر شمولية وتكاملية.

[٦٩] الغَذّامي، *الخطيئة والتكفير (من البنيويّة إلى التشريحيّة، قراءة نقدية لنموذج إنساني مُعاصر)*، ١٢–١٣.

ثبت المصادر والمراجع

- أبو ديب، كمال، *في الشعرية*، ط.١، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٧م.
- برنس، جيرالد، *المصطلح السردي*، ترجمة: عابد خزندار، مراجعة: محمد بريري، ط.١، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، ٢٠٠٣م.
- التلاوي، محمد نجيب، *وجهة النظر (في رواية الأصوات العربية في مصر)*، ط.١، المنيا: مطبعة إكسبريس، ١٩٩٦م.
- رشدي، رشاد، *نظرية الدراما من أرسطو إلى الآن*، ط.١، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٨م.
- حافظ، صبري، "التناص وإشاريات العمل الأدبي"، *مجلة ألف الجامعة الأمريكية*، مج. ٤، ١٩٨٤، ٧٧–١٠٠.
- الحمد، منتصر، "إرهاصات شعرية مبكرة في نقش "عين عبادة" النبطي من القرن الأول الميلادي"، في *1st ICHAL 2015 Proceedings of the 1st International Conference on The History of Arabic Literature*، تحرير: Olena Khomitska and Bohdan Horvat، ٧٢–٧٩، كييف: جامعة كييف تراس تشيفشينكو الوطنية، ٢٠١٦م.
- عبد اللطيف، عماد، *تحليل الخطاب السياسي (البلاغة، السلطة، المقاومة)*، ط.١، عمان: دار كنوز المعرفة، ٢٠٢٠م.
- عبد المطلب، محمد، "التناص عند عبد القاهر الجرجاني"، *مجلة علامات في النقد*، مج.١، ع. ٣، ١٩٩٢، ٤٩–٩٨.
- عناني، محمد، *الأدب وفنونه*، ط.١، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧م.
- الغَذّامي، عبد الله محمد، *الخطيئة والتكفير (من البنيويّة إلى التشريحيّة، قراءة نقدية لنموذج إنساني مُعاصر)*، ط.١، جدة: النادي الأدبي الثقافي، ١٩٨٥م.
- قطب، سيد محمد السيد، وآخرون، فن الخبر القصصي، القاهرة: كليوباترا للطباعة، ٢٠٠٢م.
- قطب، سيد محمد السيد؛ وسليم، عيسى مرسي، *أبجدية الرواية (دراسة نصيّة في أعمال ميرال الطحاوي)*، ط.١، القاهرة: دار الهاني للطباعة والنشر، ٢٠٠٢م.
- لحمداني، حميد، " التَّناصّ وإنتاجية المعاني"، *مجلة علامات في النقد*، مج. ١٠، ع. ٤٠، ٢٠٠١، ٦٣–١٠٦.
- المرزوقي، أبو علي أحمد، *شرح ديوان الحماسة*، ط.١، تحقيق: أحمد أمين وعبد السلام هارون، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥١م.
- مفتاح، محمد، *دينامية النص (إنجاز وتنظير)*. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٠م.
- يقطين، سعيد، *انفتاح النصّ الروائيّ (النصّ والسياق)*. ط.١، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٨٩م.
- .....، *الرواية والتراث السرديّ (من أجل وعي جديد بالتُّراث)*، ط.١، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٢م.

References:

- ʼABŪ-DĪB, KAMĀL, *Fī al-ši'riyyah*, 1st ed., Beirut: Mu'assasaẗ al-'Abḥāt al-'āmmah, 1987.
- ABULHAB, SAAD, *Inscriptional Evidence of Pre-Islamic Classical Arabic: Selected Readings in the Nabataean, Musnad, and Akkadian Inscriptions*, New York: Blautopf Publishing, 2013.
- AL-GHADHĀMĪ, 'ABDULLAH MUḤAMMAD, *al-Khaṭī'ah wa al-Takfīr (mina al-Bunyawiyah 'ilā al-Tašrīḥiyyah, Qirā'ah Naqdiyah li Namūdhaǧ 'Insāniyy Mu'āṣir)*, 1st ed., Jeddah: al-Nādī al-'Adabiyy al-T̲aqāfaiyy, 1985.

DOI: 10.21608/jguaa.2025.350600.1370

- ʻABDUL-LAṬĪF, ʻIMĀD, Taḥlīl al-Khiṭāb al-Siyāsiyy (al-Balāghah, al-Sulṭah, al-Muqāwamah), 1st ed., ʻAmmān: Dār Kunūz al-Maʻrifah

- ʻABDUL-MUṬṬALIB, MUḤAMMAD, «al-Tanāṣ ʻinda ʻAbdul-Qāhir Al-Jurjāniyy», *Mağallaẗ ʻAlāmāt fī al-Naqd* 1, № 3, 1992, 49-98.

- AL-HAMAD, M., «Nabataean in Contact With Arabic: Grammatical Borrowing», *Proceedings of the Seminar for Arabian Studies* 44, 2014, 1-9.

- ……., "ʻIrhāṣāt Šiʻriyyah Mubakkirah fī Naqš ʻAyn ʻUbādah an-Nabaṭiyy mina al-Qarn al-ʻAwwal al-Mīlādiyy", In *1st ICHAL 2015 Proceedings of the 1st International Conference on The History of Arabic Literature*, edited by Olena Khomitska and Bohdan Horvat, 72-79, Kyiv: Taras Shevchencko National University of Kyiv Institute of Philology, 2016.

- ……, "Revisiting the Arabic Verses of the ʻAin ʻAvdat Inscription", In *Near Eastern and Arabian Essays: Studies in Honour of John F. Healey*, edited by George Brooke, Adrian Curtis, Muntasir al-Hamad, and Rex Smith, 159–168, Oxford: Oxford University Press, 2018.

- AL-JALLAD, A., "The earliest stages of Arabic and its linguistic classification", In *Routledge Handbook of Arabic Linguistics*, edited by Elabbas Benmamoun and Reem Bassiouney, 315-331, London: Routledge, 2018.

- AL-MARZŪQIYY, ABŪ ʻALĪ ʼAḤMAD, *Šarḥ Diwān al-Ḥamāsah*, 1st edition, edited by: ʼAḥmad ʼAmīn and ʻAbdul-Salām Hārūn, Laǧnaẗ al-Taʼlīf wa al-Tarǧamah li al-Našr, 1951.

- AL-TILLĀWĪ, MUḤAMMAD NAĞĪB, *Wijhaẗ al-Naẓar (fī Riwayaẗ al-ʼAṣwāt al-ʻArabiyyah fī Miṣr)*, 1st edition, al-Minyā: Maṭbaʻat Express, 1996.

- ʻĀNĀNĪ, MUḤAMMAD, *al-ʼAdab wa Funūnuh*, Cairo: al-Hayʻah al-Maṣriyyah li al-Kitāb, 1997.

- AMBROS, A., «Zur Inschrift von 'En 'Avdat — eine Mahnung zur Vorsicht», *Zeitschrift für Arabische Linguistik* 2, 1994. 90-92.

- BEESTON, A., "Antecedents of Classical Arabie Verse?", In *Festschrift Ewald Wagner*, edited by Heinrichs, W. and Schoeler, G., 1: 234-243, Beirut: Steiner, 1994.

- BELLAMY, J., «Arabic Verses from the First/Second Century: the Inscription of ʻĒn ʻAvdat», *Journal of Semitic Studies* 35, 1990, 73-79. https://doi.org/10.1093/jss/XXXV.1.73

- ḤĀFIẒ ṢABRĪ, «al-Tanāṣ wa ʼIšāriyyāẗ al-ʻAmal al-ʼAdabiyy», *Mağallaẗ ʼAlif al-Jāmiʻah al-ʼAmerikiyyah* 4, 1984, 77-100.

- HÄMEEN-ANTTILA, J., «A Note on the ʻĒn Avdat Inscription», *Studia Orientalia* 67, 1991, 33-36.

- KROPP, M., «A Puzzle of Old Arabic Tenses and Syntax: The Inscription of 'En 'Avdat», *Proceedings of the Arabian Seminar* 24, 1994, 165-174.

- ……, «Iatromagie und der Beginn der arabischen Schriftsprache: die nabatäisch-arabische Inschrift von ʿAyn ʿAbada», *Mélanges de l ʾ Université Saint-Joseph de Beyrouth* 55, 2002, 91-117.

- ……., "The ʿAyn ʿAbada Inscription Thirty Years Later: A Reassessment", In *Arabic in Context. Celebrating 400 Years of Arabic at Leiden University*, edited by A. Al-Jallad, 53-74, Leiden: Brill, 2017.

- O'CONNOR, M., «The Arabic Loanwords in Nabataean Aramaic», *Journal of Near Eastern Studies* 45, 1986, 213-229.
- LACERENZA, G., «Appunti sull'iscrizione nabateo-araba di 'Ayn 'Avdat», *Studi Epigrafici e Linguistici* 17, 2000, 105-114.
- LAḤMADĀNĪ, ḤAMĪD, «al-Tanāṣ wa 'Intāğiyyaẗ al-Ma'ānī», *Mağallaẗ 'Alāmāt fī al-Naqd* 10, № 40, 2001, 63-106.
- MACDONALD, M., "The Emergence of Arabic as a Written Language", In *Arabs and Empires before Islam*, edited by G. Fisher, 395–417, Oxford: OUP, 2015.
- MIFTĀḤ, MUḤAMMAD, *Dināmiyyaẗ al-Naṣṣ ('Inğāz wa Tanẓīr)*, al-Dar al-Bayḍā': al-Markaz al-Taqāfaiyy al-'Arabiyy, 1990.
- NEGEV, A., «Obodas the God», *Israel Exploration Journal* 36, 1986, 56-60.
- NOJA, S., "A Further Discussion of the Arabic Sentence of the lst Century A.D. and Its Poetical Form", in *Semitica. Serta philologica Constantino Tsereteli dicata*, edited by R. Contini *et al*, Torino, 1993, 183-188.
- PRINCE, GERALD, *al-Muṣṭalaḥ al-Sardiyy*. Tr: 'ābid Khazindār, Review: Muḥammad Barīrī, 1st edition, Cairo: al-Mağlis al-'A'lā li Al-Taqāfah, 2003.
- QUṬUB, SAYYID MUḤAMMAD AL-SAYYID, ET AL., *Fann al-Khabar al-Qaṣaṣiyy*, Cairo: Cleopatra li al-Ṭibā'ah, 2002.
- QUṬUB, SAYYID MUḤAMMAD AL-SAYYID, & SALĪM 'ĪSĀ MURSĪ, *'Abğadiyyẗ al-Riwāyah (Dirāsah Naṣṣiyyah fī 'A'māl Mīrāl al-Ṭaḥawī*, Cairo: Dār al-Hānī li al-Ṭibā'ah wa al-Našr, 2002.
- RUŠDĪ, RAŠĀD, Naẓariyyaẗ al-Drāmā min 'Arisṭū 'ilā al-'ān, 1st edition, Cairo: Maktabaẗ al-'Anglō al-Miṣriyyah, 1968.
- TESTEN, D., «The Arabic of the ʿEn ʿAvdat Inscription», *Journal of Near Eastern Studies* 35, 1996, 281–292.
- SNIR, R., «The Inscription of 'En 'Abdat. An Early Evolutionary-Stage of Ancient Arabic Poetry», *Abr-Nahrain* 31, 1993, 110-125.
- YAQṬĪN, SA'ĪD, *'Infitāḥ al-Naṣṣ al-Riwā'iyy (al-Naṣṣ wa al-Siyāq)*, al-Dar al-Bayḍā': al-Markaz al-Taqāfaiyy al-'Arabiyy, 1989.
- ……, Riwā'iyah wa al-Turāṯ al-Sardiyy (min 'ağli Wa'y Ğadīd bi al-Trāṯ), 1st ed., al-Dar al-Bayḍā': al-Markaz al-Taqāfaiyy al-'Arabiyy, 1992.